

مميزات وخصائص بأن جعلهم الله شبه المختار ، ذا العزة الخالدة والحمد المقدس ، وفي نظر شريعتهم أن الأخلاق دين وسياسة معا ، وأن هذه الشريعة قامت على رواس من الوطنية فكفالت البقاء للشعب المشتت في بقاع الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وكذلك استطاعت أن تبقى عليه وتصوره من الفناء في الكثرة المالية

أما الشريعة المسيحية فإنها روحية بحيث لم تتدخل في الشؤون السياسية بل تركت ما لقيصر لقيصر ، وبذلك طفت تعاليمها على النظام القومي ، فجردته من العنصر السياسي وعملت على إزالته وهدمه ، لأنها تعمل على فزو المقائد والأوضاع القومية بنير عييز ولا تفرقة بين جنس وآخر ، أو بين فرد وآخر من أفراد الجنس الواحد ، وهدفها من ذلك انحلال القومية وجعل العالم كله خاضعا للسيطرة الروحية ، وفات العالمين عليها أن تهيأ صرح القومية الإغريقية كان بسبب اتجاه فلاسفتهم إلى الفكرة المالية الحرة ، ولم يدركوا أن هذه الفكرة لا تأتلف مع فكرة القومية ومميزاتها ، وقد تقوضت أركان الدولة وزالت من الوجود لأنها عملت على بسط سلطانها على شعوب كثيرة مختلفة الشرائع متباينة المقائد ، فلم يستطع نظامها القومي وشريعتها السياسية (أي نظام وشريعة الدولة الإغريقية) أن تحتص كل هذه العناصر المتنافرة وإن كانت سيطرت عليها زمنا غير قليل . وقد جاء انتشار المسيحية في أرجائها تحولا خطيرا في هيكل أوضاعها الخلقية ، بل إنه أبدل نظامها القومي بشرعة عالمية مجردة عن الفكرة السياسية

وأما اليابانيون والصينيون فقد احتفظوا بمناصرهم الوطنية وروحهم القومية لأن مبادئهم الخلقية تستند إلى دامة قومية ثابتة . ومن خصائص الشرائع القومية أنها إذا خرجت من بيتها وامتمدت إلى الأمم الأجنبية ، فإنها لا تقوى على الاحتفاظ بآثارها في تكيف حياة الأفراد وتوجيه أفكارهم ونزواتهم ، إذ من طبيعة الأقوام عدم مقدرتهم على الاحتفاظ بمميزاتهم وشخصياتهم الا داخل حدود أنظمتهم ومبادئهم

والتاريخ المالي يحكي لنا قصة النضال بين الشرائع القومية ومميزاتها من يوم أن خلقت الشرائع المالية

شرعة القومية وشرعة الاسلام

بمقتضى مرسوم ١٣٧٠ سنة على هجرة النبي

عليه الصلوة والسلام ولهم ما كرموا

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إن الشرائع المالية وهي المسيحية والإسلام والبوذية ، كل منها تتطلع إلى السيطرة على العالم ، وجعل الناس جميعا تحت لوائها ، وترى كذلك إلى تحديد قواعد الفضيلة والخلق للبشر

أما الشرائع القومية ، ومنها شرائع اليهود والبراهمة واليابانيين والصينيين ، فإنها تحدد مراميها في جماعة أو قبيلة أو أمة أو دولة بعينها ، لأن تعاليمها لا يمكن أن تناسب جميع البشر بمكس الشرائع المالية السابقة الذكر

ونحن نعلم أن المبادئ الخلقية في جميع المذنيات تنحصر في طائفتين كبيرتين من الشرائع الزمنية والخلقية . فالأولى هي الشرائع القومية التي تعمل في حدود جماعة أو قبيلة أو دولة أو أمة ، وهي كذلك لا تقتصر على توجيه الأفراد إلى الخير والسعادة عن طريق معاملته وسلوكه مع غيره ، ولكنها تسيطر عليه في علاقته بالدولة أو الأمة التي هو فرد منها منتم إليها ، والتي يجب أن ينظم حياته تبعا لمقتضيات مصالحها وحاجاتها

أما الثانية فهي الشرائع المالية ، وهذه تعمل على السيطرة على العالم وإخضاع البشر لقواعد الفمزية التي ترى أنها صالحة لحياتهم ، ملائمة لهم في كل زمان ومكان . والفرق بين هاتين الشريعتين : أن الأولى قومية وسياسية ، والثانية عالمية خلقية . وهذا الفرق يظهر واضحا عند مقارنة الشريعة اليهودية أو البرهمية بالشريعة المسيحية أو الإسلامية

ففي الدولة اليهودية مثلام يكن الحكم حكما روحيا ، إذ عهد بدو إسرائيل إليها قومية ، فلم تكن شريعتهم تقصر غايةا على تنظيم سلوك الفرد ، ولكنها رمت إلى خير الشعب بوجه ، واليهود في نثار أنفسهم أفضل شعوب الأرض بما امتازوا به من

السرعة التي سمت بها وذلك لتفكيك الشرائع القومية التي غزاها الإسلام ودخلت في حوزته وما أعقب هذا من ازدهار . فلم تلبث هذه الحركة أن أعقبتها السكون وتبدلت القوة وهنا وضعنا ، فإذا بنا نرى النور التالى سنا وقوة ، يحيم عليه ظلام قائم ويصبح المجد الزاهر قصصا يحكيها لنا التاريخ كأثلة نادرة لمدالة الحكم والخدمة العامة والبطولة الفذة والتضحية بالنفس والمال في سبيل العقيدة

لا مراة في أن الدين الإسلامى ينتشر في الأمم التي تعيش على البداوة والفطرة ، وأنه كما التى بالسيحية في ميدان التنافس الحر ، صرعها وتغلب عليها ، ولكنه اليوم يعيش بعيدا من الثقافة البشرية ، والأهم الإسلامية ترزح تحت أنظمة من الحكم الذى يخالف الإسلام الصحيح . ودستور محمد وأصحابه القدى استطاعوا به أن يبهروا العالم أجمع ، والقدى رضيته جميع الشعوب التي خضعت له في ذلك الوقت

• • •

كثيرا ما سمعنا من اليمض أن البادى الخلقية الإسلامية مخالفة بطبيعتها للتقدم في شؤون الحياة السياسية ، وهذا افتراء لا يقول به منصف ، وتدحضه وثبة الإسلام القوية في أول عهده ، وما تخلفها من التماسك الروحي والحماس القومى ، وما ظهر منها من دلائل الإيمان والقوة والرونة ، كما أن تاريخ المدنية الإسلامية يدلنا على قوة أوضاعها الخلقية السامية ، غير أن بواعث تقدمها السريع هي بينها نفس بواعث تأخرها وركودها السريع ، وذلك لأن الشرائع المالية وخاصة الشريعة الإسلامية ، قد فكت قوى معتنقها من آسار شرائعهم الضيقة الحدود ، وأطلقت لهم الحرية في التعبير والاختيار ، فتبثت في نفوسهم قوى الإجماع على فكرة واحدة والعمل من أجل هدف واحد والسعى لثابة واحدة ، فكان هذا التقدم السريع والارتقاء الخاطف وقتها وهي تهدم حواجز الجنس والقومية ، أنها تقضى على قوى الارتباط بالأصل والتعطل من الماضى ، فكان هذا الانتكاس السريع القى حل بهذه الإمبراطورية المظيمة ، لأن التمسك بالقديم في نظرى يعتبر عاملا لازما متما لحركة التقدم السليم ، وما للحرمة القومية أو ما يسمونه (التعصب) إلا اعتداد المرء بنفسه وعسكه بقوميته

أما تاريخ الإسلام فإنه يضرب لنا أقوى الأمثال على انجهاات الشرائع المالية وقوتها . فإن النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم) استطاع أن يفرس نظامه الخلقى ومبادئه المالية في شجب على حالة من البداوة والفطرة ، ولكن له عبادته وعقائده وطوقه على الخاصة ، ورغم هذا فإن نظام الإسلام سرى في هذا الشعب سريان الماء في الود اليابس فأعاد إليه الحياة ، واكتسح تياره كل العقبات التي كانت أمامه ، وتكشف عن قوة فائقة من التمازج والتثليل . وخضعت له شعوب متباينة الأجناس والأشكال ، متباينة الألوان من بيض وسود وصفر ، وكان خضوع هذه الشعوب من رضى وإيمان ، وتبخرت بفعل حماسه شرائع متنافرة البادى مختلفة العقائد ، كما يتبخر الماء في الهواء ، وذلك لأن نظام الإسلام سوى بين الناس ، وجعلهم صفا واحدا كلهم سواء ، وعما ما بينهم من فوارق الجنس واللون والطبقة والقبيلة ، وحطم الحواجز التي كانت بين أبناء الشعوب بل بين أبناء الشعب الواحد ، وسوى بين الرجل والمرأة ، ونادى بأن الناس سواسية لأفضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوى والعمل الصالح المثمر . وقد تزوج العرب مع جميع الأجناس والشعوب التي افتتحوها بلادها فكان هذا سببا من أسباب الانتشار

هذا الانتشار السريع الذى حدث في أقل من قرن من الزمان يرجع إلى أسباب كثيرة .. منها ، وأهمها : المساواة بين المسلمين مساواة مطلقة في الدين والدنيا ، وبساطة تعاليمه وقربها من الفطرة ، والتمازج في كثير من عناصر الجنس والثقافة ، وتلاقح الأمزجة من صنوف البشر ، كل هذا وغيره أخرج مدنية بهرت شعوب العالم بجلالها وبهاؤها ورحابة ساحتها وتمدد مناحبها ولم يمض زمن طويل حتى طأطأت رءوس البشر في مختلف بقاع الأرض لثقافة الإسلامية من علوم وفنون ، وحتى غمرت هذه الثقافة الجزء المحصور بين آسيا الشرقية وإسبانيا بالجامعات الكبيرة ودور الكتب المارة والمساجد النضمة . في هذا الوقت القى كانت ترزح فيه الثقافة الإسلامية زحفا سريما كانت أوربا ترزح تحت ألقاض المدنية الرومانية ، وتئن من الظلم والفسوس والاستبداد

غير أن هذه المدنية الشاغرة سرعان ما رأيناها تهوى بنفس

٣ - أصحاب المعالي

(إن الله يحب سالى الأمور ، ويكره سفاهتها)
« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

أفتر الملا منى القلى والتجنب
ولولا الملا ما كنت فى الفضل أرغب
ملكيت بحلى فرصة ما استرقها
من الدهر مفتول الدرامين أغلب
فإن يك سنى ما تطاول بإعها
فلى من وراء المجد قلب مدرب
بحسبى أنى فى الأماضى مبغض
وأنى إلى عز المال محب
فلعلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقانى إلى الحلم أقرب
بصول على الجاهلون وأعتلى وبمعجم فى القائلون وأعرب
ولست براض أن تمس عزائى فضالات ما يعطى الزمان ويسلب
فتهو راغب فضل ، وماحب حلم وإباء عن دنيا الأمور ،
لا يباعد بينه وبين عز المعالى أراجيف العدو ، ولا فضالات الدنيا
ولا حدائى السن
وبلاحقنا فى هذا الضمار الملك أبو فراس مرة أخرى ، فلا
يرضى لأصحاب المعالى أن يحول صفر السن دون آكرهم :

وبضارع التنبى فى هذا أبو فراس الحداني الذى
يحمل الفم سلاحا ذا حدين ، فهو للأضياف نارة ، وللأعداء نارة
أخرى ، والكرم والجهد للمعالي سيلان :
للقا المدى بيض السيو فى ولاندى بحر النعم
هذا وهذا دأبنا يودى دم ويراق دم
ويقول بشار بن برد :
وأبسطهم راحة فى الندى وأرفعهم ذروة فى الملا
ومن أصحاب المعالى للمنازين الشريف الرضى ، ففى أبياته
الآتية ذخيرة عالية :

الذى حدث بين جميع العرب وجميع الشعوب وخاصة الزنوج
الذين دل التاريخ البشرى على أنهم جنس عقيم الاستعداد للمدنية ،
بطل الاستجابة لداعى الثقافة ، لأن حقائقهم العقلية لا تؤهلهم
للهوض فوق مستوى البربرية ، لذلك تغير الدم العربى ، وقلت
نقاوته ، وضاعت صفاته المميزة له ، وفست سلالا العرب
ذات الاستعداد القوى والقدرة على الإنتاج
وبذلك بدأ التدهور بحمل بالأمة الإسلامية ويدب فى أوصالها
القناء . ولولا قوة تماسك نظم الشريعة الإسلامية وسلاحية
قوانينها والثقاف المسلمين حولها ، لالت كما زال غيرها من
الشرائع العالمية الأخرى ، ولما استطاع أن يصمد لكل هذه
الأماسير التى تتزاحم عليه

عبد المرحوم عبد الحافظ

وتقاليده ، وهى طائفة نبيلة ترمز إلى فكرة النحس الوطنى الذى
هو عماد الرقى والتقدم وثباتهما ، فإذا تلاشت هذه الماطفة
أضعفت ، أنهار الإحساس القومى وغدت فى الفرد روح
التضحية من أجل الجماعة ، وانتفت بميزاته وصفاته الوطنية
وصيغته الشخصية ، وزال طابعه الوطنى الذى يمتد به ، وهان
عليه كل شئ

إن الإسلام قد ظهر فى بلاد تعتبر ملتقى قارات ثلاث تسكنها
أجناس مختلفة من بيض وسود وسفر ، وبمختلفون فى معنى القومية ،
فلما هدم الإسلام هذه الفوارق ونادى بفكرة المساواة بكل معانيها
الراسمة ، تزوج المؤمنون من الأجناس التى دخلت حوزة
الإسلام ، بلا ضابط ولا قيد

وإن كان هذا التزاوج سببا من أسباب ازدهار الثقافة
الإسلامية بفعل التلاحق البعيد المدى ، إلا أن هذا الاختلاط